تحليل الخطاب الأدبي

في نهج البلاغة

(خطبة الجهاد نموذجاً)

المدرس المساعد:

أمير فرهنك نيا

الجامعة تربيت المدرس – جمهورية ايران الاسلامية

تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة

(خطبة الجهاد نموذجاً)

المدرس المساعد: امير فرهنك نيا

(جامعة تربيت مدرس – جمهورية ايران الاسلامية)

الملخص

إنّ الخطابة إحدى الفنون الراقية التي يحتاجها الانسان خاصة العلماء والمفكرين ومُبلغي الرسالة الإلهية و خَدَمَة أهل الوحي والسائرين على درب الإصلاح والتحرير والسالكين طريق القيادة والتدبير؛ وهي فنّ مخاطبة الآخرين بطريقة.

إنّ في الخطاب الأدبي قدرة على التأثير في أذواق المخاطبين والرقي بها نحوالأهداف المرغوبة؛ وهو أقرب أنواع الخطاب للتربية وتعديل السلوك وتعليم الناس؛ حيث إنّه يرقى بالتفكير والقلب والسلوك من خلال أسإلىبه المختلفة، منها البيانية كالتشبيه والمجاز والرمز، أوالأسإليب التي تخصّ علم المعاني كالدعاء و الاستفهام وهي أسإلىب تنبّه الحس الجمإلى والمتعة في النفوس

وتحمل الفائدة المرجوّة في ثنايا الخطاب الممتع، فتوصلها بطريقة محبّبة، بعيداً عن أساليب الجدل الجافّ الـــذي لا تصبر له النفوس ولا ترغب فيه.

إنّ هذا المقال يسعى إلى دراسة الخطاب الأدبي في خطبة الجهاد وهي خطبةٌ يمتاز الخطاب الأدبي فيها بقدرته على إيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها؛ حيث يكثر فيها اقتران اللفـــظ والمعـــنى أو الشـــعور والتعبير؛ كذلك تهدف إلى دراسة الواقع الجمالي الـــذي يحدثه هذا العمل الأدبي في المتلقي وردود فعلـــه إزاءه، حين يتأمله ويتفكر فيـــه؛ ويتّبـــع المقـــال التحـــوّلات والتطوّرات التي يتداولها المتلقي أو المستمع.

المقدمة

كان الخطاب في البلاغة القديمة مجرّد وسيلة يعبّر بها عن الفكرة، ولكن كان ينظَر إليه باعتباره كيانـــاً مســـتقلّاً، يحمل خصائصه الذاتية، و يظهر ذلـــك في الرســـالة (النص) الصادرة من الكاتب إلى المتلقّي؛

يستمد مفهوم الخطاب قيمته النظرية، وفعاليته الإجرائية من كونه يقف راهنا في مجال النقد الأدبي الحـــديث في

نقطة تقاطع/تلاقي بين تحليل النصـــوص والإجـــراءات التطبيقية التي تتطلبها عمليات التحليـــل، والأعمـــال الأدبية الإبداعية بصفة عامة باعتبارها نظامـــا مغلقـــا لا يحيل إلاّ على نفسه.

بل إنّ مفهوم الخطاب (قد) يعود بنا أدراجا إلى ما هـــو أعمّ، من اعتباره مجرد مفهوم إجرائي في تفكيك ســـنن النصوص ومرجعياتها، وذلك من خلال إعادة النظـــر في أنساق المعرفة النقدية التي اتخذت من النصوص التراثيـــة سندا لها.

إن نهج البلاغة وهو من كلام الإمام على (عليه السلام) من أعظم الكتب الإسلامية شأناً، وإنّه نـــورٌ ونجـــاة و برهانٌ ولبٌّ لمن استضاءَ وتمسّك به واعتمده وتـــدبّره؛ فإنّه من روافد البلاغة التطبيقية، فهو إمام الفصـــحاء و البلغاء بعد رسول الله، وقد سخّر له الخطاب في إلقـــاء المواعظ البليغة التي تحمل الحجج البالغة وتـــؤثّر علـــى أذواق المخاطبين، وتنحو نحو التربية وتعديل الســـلوك، فهذا الكتاب خير دليل على ما ندّعيه؛ أو هو اسم على المسمّى ؛ وبما أنّه كتاب يليـــق بالدراســـة والتحقيـــق،

اخترتُ عنوان « تحليل الخطاب الأدبي في نهج البلاغة، خطبة الجهاد نموذجاً».

١ ـ الخطاب

جاء في لسان العرب لابن منظور من مادّة (خ.ط.ب): الخطاب والمخاطبة، مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة، وخطاباً ومّما يتخاطبان، والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذوي شأن.[١]

ورد في قوله تعالى: (فقال اكفلنيها وعزّني في الخطاب)[٢]، بمعنى الكلام، وأو في هذه الآية: (وآتيناهُ الحكمةَ و فصلَ الخطاب)[٣]، إنّ فصل الخطاب هنا بمعنى «ما ينفصل به الأمر من الخطاب، أوالحكم بالبينة، أوإلىيمين، أوالفقه في القضاء، أوالنطق بأمّا بعد، أو أن يفصلَ بين الحقّ و الباطل»[٤].

وفي معجم المصطلحات العربية الخطاب، الرسالة Letter، نص مكتوب ينقل من مرسل إلى مرسل إليه، يتضمن عادة أنباء لا تخصُّ سواهما، ثم انتقل مفهوم

---

١ . ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الأول، ص٨٥.
٢ . سورة ص، ٢٣.
٣ . سورة ص، ٢٣.
٤ . الزيات، أحمد حسن، و الزملاء: ٢٠٠٤م، ص ٢٤٣.

الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية– سواء أكتب نظماً أو نثراً – أو من المقامة في الأدب العربي.[1]

في المعاجم الأجنبية فإن الخطاب «مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسيةDiscourse، وفي الإنجليزية Discourse، وتعني حديث، محاضرة، خطاب، خاطب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدث إلى».[2]

هناك علاقة قوية جداً بين الخطاب والنص «فالخطاب مجموعة من النصوص ذات العلاقات المشتركة أي أنه تتابع مترابط من صور الاستعمال النصي يمكن الرجوع إليه في وقت لاحق، وإذا كان عالم النص هو الموازي المعرفي للمعلومات المنقولة والمنشطة بعد الاقتران في الذاكرة من خلال استعمال النص فإن عالم الخطاب هو جملة أحداث الخطاب ذات العلاقات المشتركة في جماعة لغوية أو مجتمع ما ... أو جملة الهموم المعرفية التي – جرى التعبير عنها في إطار ما»[3].

---

١ . مجدي، وهبة _ المهندس، كامل: ١٩٨٤م، ص ٩٠.
٢ . إلياس انطون، إلياس، ١٩٧٢م، ص١٩١.
٣ . دى بوجراند، روبرت، ١٩٩٨م، ص٦.

يبدو أنّ أنواع الخطاب في الأدبيات المعاصرة قد تمّ استبعادها لحساب عمومية الخطاب وإخضاعه لمنطقٍ لغوي ومنهج تحليلي واحد؛ وفي العمومية تخفي الخصوصية؛ فقد اتجهت المدارس اللغوية المعاصرة نحو الشكل دون المضمون؛ وبالتالي لم تُعنَ إلّا بالتراكيب والمضمون؛ المضمون من حيث هو مضمون، دون تخصيصه بديني، أو فلسفي، أو أخلاقي، أو قانوني، أو تأريخي، أو اجتماعي سياسي أو أدبي فنّي، أو إعلامي معلوماتيّ أو علمي منطقي؛ فالخطاب أصوات ونبرات، أكثرَ منه معانٍ ودلالات، وتترك الدراسات اللغوية الدراسات اللغوية المعاصرة أنواع الخطاب إلى ميادينها خارج علم اللسانيات العامّ؛ فالخطاب الديني جزءٌ من الفك الديني، والخطاب الفلسفي أحد موضوعات الفلسفة، والخطاب الأخلاقي موضوع من حوضوعات الأخلاق، والخطال القانوني جزءٌ من منطق القانون، والخطاب التأريخي يدخل في فلسفة التأريخ، والخطاب الأدبي الفنّي جزءٌ من علوم النقد، فأنواع الخطاب في اللسانيات المعاصرة تدخل في علومها الخاصّة، وليس في

علم اللسانيات نظراً لسيادة النزعة الشكلية فيه؛ فمن الواضح أنّ علم اللسانيات قد استقلّ بنفسه عن باقي العلوم الإنسانية، وأصبح الخطاب فيه خطاباً لغوياً خالصاً بصرف النظر عن مضمونه وموضوعه وقصده و باعثه.

٢ - عناصر الخطاب

ليس هناك خطاب إلّا يدور فيه هذه العناصر، وهي:

أ – المبدع:

إنّ المبدع يمتلك المقدرة على نقل الأفكار في أشكال وطرق متنوّعة، وعليه فإنّ الخاصية اللغوية يمكن أن تثير انفعالات متعددّة ومتميزة تبعاً للسياق الذي تردُ فيه، وينتج عن ذلك أنّ نفس الانفعال يمكن أن نثيره بوسائل أسلوبية متعدّدة، وهكذا يكون تركيب الأسلوب وما ينتج عنه من أثرٍ انفعالي مطابقاً لخاصية الدوال و المدلولات في الدراسة اللغوية، وبهذا تمتلك الأسلوبية سبلَها الخاصّة بها مثلما للغة الخطاب هذه السبل[١].

---

١ . عبد المطلب، محمد، ١٩٩٤م، ص٢٢١.

يؤكد بارت أن الكتابة هي في واقعها نقض لكل صوت كما أنها نقض لكل نقطة بداية (أصل)، وبذا يدفع بارت المؤلف نحو الموت.

بأن يقطع الصلة بين النص وبين صوت بدايته، ومن ذلك تبدأ الكتابة التي أصبح بارت يسميها بالنصوصية (Textuality) بناءً على مبدأ أن اللغة هي التي تتكلم وليس المؤلف.

والمؤلف لم يعد هو الصوت الذي خلف العمل أو المالك للغة أو مصدر الإنتاج، ووحدة النص لا تنبع من أصله ومصدره، ولكنها تأتي من مصيره ومستقبله،ولذا يعلن بارت بأننا نقف الآن على مشارف عصر القارئ.

ولا غرابة أن نقول إن ولادة القارئ لا بد أن تكون على حساب موت المؤلف وبذا يحسم بارت الصراع بين العاشقين المتنافسين على محبوب واحد فيقتل رولان بارت منافسه ليستأثر هو بحب معشوقه (النص) وينتصر القارئ على المؤلف ويخلو الجو للعاشق كي يمارس حبه مع محبوبه الذي لا يشاركه فيه مشارك. وتتحول العلاقة

بين المؤلف والنص من علاقة بين أب وابنه على وجـــود الابن، إذ تتحول إلى علاقة (ناسخ) و(منسوخ).

أي أن المؤلف لا يكتب من اللغة التي هـــي مســـتودع إلهامه، ولا وجود للمصدر إلا من خلال النص، ولـــولا النص ما كان المصدر[1].

ب – المتلقي (المرسل إليه):

بدأ الاهتمام المتزايد بالمتلقي وكان ذلك منذ ظهور مـــا بعد البنيوية (Post- structuralism): «فقد أثار» قتـــل البنيوية للمؤلف، وتحويلها التواصل البرغماتي إلى لعبـــة المنطق الشكلي التركيبية، واعتبارها النص الأدبي بنيـــة مغلقة لا علاقة لها بالذات المتلفظة وبسياق الـــتلفظ ... ردود فعل متباينة لعل أبرزها تبلور خطاب نقدي يحتفي بالعلاقة المتبادلة بين القارئ والنص.

بحيث ينظر إلى القراءة بما هو فعالية تعيد كتابة الـــنص المرصود للقراءة.

كما أن النظرية اللسانية ساهمت بدورها في لفت النظر إلى المتلقي فهي تصادر على موضـــوعها هـــو الـــنص،

---

١ . عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، ص ٧٢،٧١.

باعتباره «مرسلة مشفرنة» (Message Code) تنتقل عبر سيرورة تواصلية من «مرسل» (Destinateur) إلى مرسل إليه (Destinataire) ويتعين على المرسل إليه أن يحل شفرات تلك المرسلة، مما يعني أن التواصل لا يتحقق إلا حين يتم حل الشفرات هذا بذلك، يقضي «المنهج العلمي بدارسة النص ليس انطلاقاً من المرسل، أي المؤلف بل من زاوية المرسل إليه خاصة أي المتلقي»[1].

وإن ما يميز المتلقي امتلاكه حاسة التوقع والانتظار، وكلما قدم له المبدع ما يخالف هذا التوقع وذاك الانتظار فإنه يمتلك قمة البيان الأسلوبي الذي لا يكون إلا مجموعة طاقات وإمكانيات لغوية، والمبدع الفنان هو الذي يمتلك ناصية هذه الطاقات بحيث لا يكتفي بأداء المعنى وحده وبأوضح السبل، وإنما يجب أن يكون الوضوح في أجمل ثوب، بحيث يختار المبدع الشكل الملائم ليعبر عما يخالجه[2].

ج) السياق

---

١ . رشيد بندحدو، ١٩٩٤م، ص ٤٧٢-٤٧٣.

٢ . محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوب، ص ١٩٧.

إنّ السياق عند (جاكبسون) هو الطاقة المرجعية التي يجري القول من فوقها، فتمثل خلفية للرسالة تمكن المتلقي من تفسير المقولة وفهمها.

إنه الرصيد الحضاري للقول وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه ... ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله ... فلكل نص أدبي سياق يحتويه، ويشكل له حالة انتماء، وحالة إدراك .... وهو سابق له في الوجود. فالسياق أكبر وأضخم من الرسالة... وموضع النص من السياق مثل موضوع الكلمة من الجملة، فلا قيمة للكلمة من دون الجملة، مثلما أنه لا وجود للجملة من دون الكلمة[1].

إن «الضابط في كل قراءة هو السياق فالمعرفة التامة بالسياق، شرط أساس للقراءة الصحيحة، ولا يمكن أن نأخذ قراءة ما على أنها صحيحة إلا إذا كانت منطلقة من مبدأ السياق لأن النص توليد سياقي ينشأ عن عملية الاقتباس الدائمة من المستودع اللغوي ليؤسس في داخله شفرة خاصة به تميزه كنص ولكنها تستمد وجودها من

---

١ . الغذامي، عبد الله: الخطيئة والتكفير، صص ٨-١١.

سياق جنسها الأدبي والقارئ حر في تفسير الشفرة وتحليلها، ولكن مقيد بمفهومات السياق».[1]

٣ ـ أنواع الخطاب

تتعدد أنواع الخطاب العربي وتختلف باختلاف مرجعيتها، فهي ثلاثة:

- **الخطاب القرآني**

إنّ الخطاب القرآني خطابٌ إلهي، مطلق و لا نهائي في دوالّه و مدلولاته، و هو رسالة ربّانية لجميع الناس دون الانتصار إلى صفة طائفية أو جغرافية أو شعوبية معينة، «يا أيها الناس إنّا خلقناكم من ذكرٍ و أنثي و جعلناكم شعوباً و قبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير»[2].

إنّ الخطاب القرآني لانهائي الدال والمدلول أو التركيب خطاب يميل إلى مرجعية ثلاثية فهناك مرجعية الدال، ويكون النص على مثال مرسله.

وهناك مرجعية المدلول، ويكون النص فيها على مثال متلقيه. وهناك أخيراً، مرجعية النص نفسه على نفسه

---

١ . المصدر نفسه، ص ٧٨.
٢ . الحجرات، ١٣.

ويكون النص فيها دالاً ومدلولاً خالقاً لزمنه الخاص ودائراً مع زمن المتلقين في كل العصور، وسمة القراءة في كل ذلك، أن كل واحدة من هذه المرجعيات تستقل بذاتها وتطلب الأخرى في الوقت ذاته.[1]

• الخطاب الإيصالي

إن عملية الإيصال لا تكون إلا بوجود الأقسام الثلاثة المرسِل، والمرسَل إليه (المتلقي)، والرسالة؛ « قد ذهبت بعض الدراسات الحديثة، إلى دراسة هذا النوع من الخطاب تحت اسم La Pragmatique– النفعية أو التداولية»، وهذه الدراسات كما تقول (فرانسواز آرمينغو) تدرس «اللغة ظاهرة استدلالية، وإيصالية واجتماعية في الوقت نفسه».[2]

يعني التداوليون بالاقتراب من الخطاب كموضوع خارجي، أو شيءٍ يفترض وجود فاعل منتج له، و علاقة حوارية مع مخاطب أو مرسَل إليه؛ ومن الناحية الألسنية فإنّ فكرة الفاعل ضرورية لمتابعة تحوّلات اللغة في

---

١ . منذر عياشي، ١٩٩٠م، ص ٢٢٠.
٢ . عياشي، منذر، ٢٠٠٢، ص١٤١.

الخطاب؛ فليست اللغة نظاماً وحيد الاتجاه، ولا الفاعل المتكلم وحدة شخصية، أو فرداً معروفاً في ممارسته القولية، بالرغم من أنّهما يمثّلان الأساس الضروري لنظرية اللغة والأسلوب؛ ففي علم اللغة نجد أنّ تصوّر الفاعل المنتج للخطاب تقترن به ملاحظة حضوره في هذا الخطاب ذاته، فالفعل الفردي لتملُّكِ اللغة يدخلُ المتكلمَ في كلامه، وهذا اعتبار يعَدُّ جوهرياً في تحليل الخطاب، إذ أنّ الخطاب هو المكان الذي يتكوّن فيه فاعله، ومن خلال هذا الخطاب فإنّ الفاعل يبني عالمه كشيء ويبني ذاته أيضاً.[1]

ج) الخطاب الإبداعي

يقوم الخطاب الشعري الإبداعي على ستة عناصر كما حددها جاكبسون تغطي كافة وظائف اللغة بما فيها الوظيفة الأدبية.

فلقد وجد أن السمة الأساسية التي من أجلها وجد النص هي الاتصال، هذا ويأخذ النص سماته الخاصة من خلال تدرج وظائف عناصر الاتصال، والتي فصلهما

---

١ . فضل، صلاح: ١٩٧٨م، ص٩٠.

جاكبسون في نظرية الاتصال(Communication theory)، وليس من خلال احتكاره لواحدة منها.[1]

٤ - الخطاب الأدبي

إنّ البحث في الخطاب الأدبي وصلته بالنقد استحوذ على اهتمامات دارسي اللغة والأدب منذ منتصف القرن العشرين، بفضل ما قدمته الحقول المعرفية الجديدة كاللسانيات والأسلوبية والسيميائية من مصطلحات وأدوات إجرائية، أسهمت في مقاربة الأثر الأدبي بعيداً عن المقولات النقدية التي كانت مستعارة من كل الحقول إلا حقل الأدب،« أنّه صياغة مقصورة لذاتها، وصورة ذلك أنّ لغة الأدب تتميز عن لغة الخطاب العادي بمعطي جوهري، فبينما ينشأ الكلام العادي عن مجموعة انعكاسات مكتسبة بالمران و الملكة، نري الخطاب الأدبي صوغٌ للغة عن وعي و إدراك، إذ ليست اللغة فيه مجرّد قناة عبور الدلالات، إنّما هي غاية تستوقفنا لذاتها، و بينما يكون الخطاب العادي شفّافاً، نري من خلاله معناه و لا نكاد نراه في ذاته، نجد

---

١ . منذر عياشي، ١٩٩٠م، ص ٢١٨.

الخطاب الأدبي على عكسه ثخناً غير شفّاف يســـتوقفنا هو قبل أن يمكننا اختراقه، فالخطاب العادي منفذ بلوري لا يقوم حاجزاً أشعّة البصر، بينما الخطاب الأدبي حاجزٌ بلوري تصدّ أشعّة البصر عن اختراقاته».[1]

إنّه يمكن لنفسه العمل على اللغة المألوفة ليخلق منها لغة جديدة غير مألوفة، كما تقول «جوليا كريســـتيفا» في الحديث عن الخطاب الأدبي: « إنّ الخطاب الأدبي يتطلّع دوماً لأن يجعل اللغة تنتقـــل في انزياحهـــا و تحوّلاتهـــا الجديدة إلى مستوي أرفع ممّا كانت عليه من قبل، إنّـــه يهدم العادة، لكن حقيقة هدمه بناء».[2]

٥ ـ الخطابة

يرتبط «الخطاب» بالخطابـــة في النصـــوص التراثيـــة، فالخطابة في ميدان النثر بمنزلة القصيد في ميدان الـــوزن، فهي الإطار المثالي الذي تتجلى فيه البلاغة النثرية، ومن ثمّ فإن الجاحظ إذا تكلم في بعض النصوص عن الخطابة

---

١ . المسدّي، عبد السلام: ص ١١٢.

٢ . كريستيفا، جوليا: ١٩٩١م، ص٦١.

والسياق، فهو يقصد البلاغة «ولم يذكروا بالخطابة ولا بهذا الجنس من البلاغة».[1]

هناك علاقة بين الخطاب و الخطابة التي فصلها أرسطو طإليس عن الشعر، وقد قال عن مُكوّناتها: أما اللاتي ينبغي أن يكون القول فيهن على مجرى الصناعة فثلاث: إحداهن الإخبار من أي الأشياء تكون التصديقات والثانية ذكر اللاتي تستعمل في الألفاظ، والثالثة أنه كيف ينبغي أن ننظم أو ننسق أجزاء القول.[2]

٦ – خطبة الجهاد و تحليل الخطاب الأدبي فيها:

إنّ الجهاد مصدر جاهد يجاهد جهاداً ومجاهدة، والمراد به بذل الجهد، واستفراغ الوسع في قتال الأعداء، في قتال الكفار، بذل الجهد، قتال من ليس لهم ذمّة من الكفار[3].

والمادة كلها تدل على أن هناك مشقة، فلا جهاد إلا بمشقة، ولا مجاهدة للنفس إلا مع مشقة، ولا اجتهاد في عبادة إلا مع مشقة، ولا اجتهاد في علم إلا مع بذل

---

١ . الجاحظ، البيان والتبيين، ج. ٣، ص. ١/٢٨ .
٢ . أر سطو طإلىس، ١٩٨٣م، ص ١٨١ .
٣ . الزيات، أحمد حسن، ٢٠٠٤م، ص ١٤٢ .

مشقة، فالعلم لا ينال براحة الجسد، والاجتهاد عند أهل العلم: بذل الجهد، واستفراغ الوسع،[1] قد ورد في قوله تعالى: «إنّ الذين آمنوا و الذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله و الله غفورٌ رحيم»[2]، فالجهاد في هذه الآية بمعنى القتال للدفاع عن دين الله، ولنصرة المستضعفين من عباد الله.

قال الإمام على (عليه السلام)، عن الجهاد:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيائِهِ وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَ دِرْعُ اللَّهِ الْحَصِينَةُ وَ جُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَ شَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَ دُيِثَ بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءَةِ وَ ضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَ أُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَ سِيمَ الْخَسْفَ وَ مُنِعَ النَّصَفَ .

يوجه الإمام علي (عليه السلام)، خطابه إلى الأمّة ليدغدغ مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه هذا الموضوع الهامّ، إنّه هو المرسِل (المبدع) ويحاول إسماع المرسَل إليه

---

١ . المصدر نفسه،ص ١٤٢.
٢ . البقرة، ٢١٨.

(المخاطب أو المتلقّي) بواسطة الرسالة (الخطابة أو النص)؛ فهو يحسن التصرف في قوله، فتارة يرفع به صوته و تارة يخفضه، وتارة يثقلُه؛ أمّا المتلقّي فمن الواجب أن يستعطفَ ويستمال إليه، لينصرف إلى تصديق المبدِع، فإمّا يتأثّر ويميل نحوه، فيتمحور الحديث حول الجنّة والنعيم ورضوان الله، لكنّ المتلقي في حالة رفضه وعدم امتثاله للرسالة، يواجه القساوة والغضب،« فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمِلَهُ الْبَلَاءُ وَدُيِثَ بِالصَّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْإِسْهَابِ وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ وَمُنِعَ النَّصَفَ».

«وسيمَ الخسفُ، مأخوذٌ من قوله تعالى: «يسومونكم سوءَ العذاب»[1]، و «سيمَ» مقصورٌ، وفي معناه «سيماء» ممدود، تأويله علامة الخسف»[2].

وأما قوله (عليه السلام): «وهو لباس التقوى» فهو لفظة مأخوذة من الكتاب العزيز قال الله سبحانه: «قد

---

١ . سورة البقرة، ٤٩.
٢ . ابن أبي الحديد،١٩٥٩م، ص٧٦.

أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا ولباس التقوى»[1].

أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيلًا وَ نَهَاراً وَسِرّاً وَإِعْلَاناً وَ قُلْتُ لَكُمُ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يغْزُوكُمْ فَوَاللَّهِ مَا غُزِي قَوْمٌ قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتْ علىكُمُ الْغَارَاتُ وَمُلِكَتْ علىكُمُ الْأَوْطَانُ وَهَذَا أَخُو غَامِدٍ [وَ] قَدْ وَرَدَتْ خَيلُهُ الْأَنْبَارَ وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ بْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِي وَأَزَالَ خَيلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَينْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قُلُبَهَا وَ قَلَائِدَهَا وَ رُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَ الِاسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً فَيا عَجَباً عَجَباً وَ اللَّهِ يمِيتُ الْقَلْبَ وَيجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحاً لَكُمْ وَتَرَحاً حِينَ صِرْتُمْ غَرَضاً يرْمَى يغَارُ علىكُمْ وَ لَا تُغِيرُونَ

---

١ . سورة الاعراف ٢٦.

وَ تُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ وَيعْصَى اللَّهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إليهمْ فِي أَيامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هَذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيظِ أَمْهِلْنَا يسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيرِ إليهمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ أَمْهِلْنَا ينْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ كُلُّ هَذَا فِرَاراً مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ تَفِرُّونَ فَأَنْتُمْ وَاللَّهِ مِنَ السَّيفِ أَفَرُّ .

صبارة الشتاء بتشديد الراء: شدة برده، ولم يرو المبرد هذه اللفظة وروى: «إذا قلت لكم اغزوهم في الشتاء قلتم هذا أوان قر وصر، وإن قلت لكم اغزوهم في الصيف قلتم هذه حمارة القيظ أنظرنا ينصرم عنا الحر» .

الصر: شدة البرد، قال تعالى: «كمثل ريح فيها صر»[1].

يا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً وَاللَّهِ جَرَّتْ نَدَماً وَأَعْقَبَتْ سَدَماً قَاتَلَكُمُ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيحاً وَشَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيظاً وَجَرَّعْتُمُونِي نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاساً وَأَفْسَدْتُمْ على رَأْيِي بِالْعِصْيانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا

---

١ . ، سورة آل عمران ١١٧.

عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَـــدُّ لَهَـــا مِرَاساً وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَاماً مِنِّي لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يطَاعُ .

إنّ من أهمّ مقوّمات هذه الخطبة التسلسل و التنظـــيم، واختيار الأدلّة والبراهين للتأثير على أذواق المخـــاطبين، والاقتباس من القرآن الكـــريم (التنـــاص القـــرآني)، واستخدام المقابلة والتمثيل والنداء والتشبيه؛ وهذه هي الأساليب التي تنبّه الحسّ الجمالي والمتعـــة في النفـــوس وتستعطف المتلقّي وتستحوذ على مشاعره وأحاسيســـه بطريقة محبّبة؛ ولم تكن تستقم هذه المقوّمات إلّا مع براءة لسان المبدِع (الإمام علي)، وسداد الرأي و الفصـــاحة والبلاغة عنده حين الإدلاء بدلوه للمـــتلقّين. كـــذلك المهارة عنده في إثارة العواطف وتحريك النفوس حين بناء الخطبة على الاستئناس وشدّة الانتباه و إثارة التشوّق.

النتائج

إنّ من أهمّ النتائج التي وصلت إليه هذه المقالة، هي:

١ – هناك علاقة وثيقة بين «الخطاب» والخطابة؛ وجذورها تظهر في النصوص التراثية، فالخطابة هي إحدى الفنون الراقية يستخدمها العلماء والمفكرون والسالكين طريق الهداية والتنوير.

٢ – تتميز الخطابة عند الإمام علي(عليه السلام) بالبراعة واستخدام المحسِّنات البيانية والبديعية واستخدام التناص القرآني لاستعطاف المتلقّي وإيصال الرسالة بأسلوب رائع يبتعد عن أساليب الجدل الجافّ .

٣ – إنّ خطبة الجهاد من أهم خطب الإمام علي (عليه السلام)، ويمتاز الخطاب الأدبي فيها بإيصال محتواه إلى طبقات المجتمع على اختلاف شرائحها، حيث يكثر فيها اقتران اللفظ والمعنى والشعور والتعبير.

قائمة المصادر والمراجع:

١ – ابن منظور: لسان العرب، المجلد الأول، دار لسان العرب، بيروت، د.ط، د.ت.

٢ – الزيات، أحمد حسن، والآخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٤م.

٣ – عبد المطلب، محمد: البلاغة والأسلوبية، الشركة المصرية العالمية للنشر، الطبعة الأولي، ١٩٩٤م.
٤ – دى بوجرانـــد، روبـــرت: الـــنص والخطـــاب والإجراء، ترجمة تمام حسان، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.
٥ – عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير، الهيئة المصرية العامّة للكتاب، القاهرة، الطبعة الرابعة، ١٩٨٨م.
٦ – بند حدو، رشيد: العلاقة بين القارئ والـــنص في التفكير الأدبي المعاصر، مجلة عالم الفكر، م ٢٣، العددان الأول والثاني، يوليو/ ســـبتمبر – أكتـــوبر / ســـبتمبر، ١٩٩٤م.
٧ – المسدي، عبد السلام، الأسلوبية و الأســـلوب، الدار العربية للكتّاب، تونس، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.
٨ – إلياس انطون، إلياس، قاموس إلياس العصري، دار الجليل، بيروت، د.ط، ١٩٧٢م.
٩ – القرآن الكريم

١٠ – وهبة، مجدي _ المهندس، كامل: معجم المصطلحات في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.

١١ – عياشي، منذر: مقالات في الأسلوبية، اتحاد الكتاب العرب، د. ط، ١٩٩٠م.

١٢ – فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م.

١٣ – كريستيفا، جوليا: علم النص، ترجمة فريد الزاهي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

١٤ – عياشي، منذر: الأسلوبية وتحليل الخطاب، مركز الإنماء الحضاري، سوريا، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

١٥ – الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط. ٣، (د. ت).

١٦ – ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، ١٩٥٩م.